مراجعة كتاب أصحاب الأخدود

الشيخ / رفاعى سرور رحمه الله

(أصحاب الأخدود)

هذا الكتاب ألفه الشيخ رفاعى سرور رحمه الله تأثراً بإعدام الشهيد سيد قطب رحمه الله وتقبله وأسكنه فسيح جناته وهو فى سن الثامن عشر ويمثل هذا الكتاب بمثابه بداية الشيخ رفاعى سرور فى رحلة الدعوة والجهاد فى سبيل الله والبذل والتضحية ويعتبر الكتاب درساً لمنهج الدعوة وقراءة لتاريخ الدعوة وتجربة واقعية لابد لكل داعية أن يعايشها ويتأملها جيداً فى رحلة الدعوة الشاقة الطويلة.

(نبذة عن مؤلف الكتاب)

الشيخ رفاعى سرور رحمه الله يعتبر من رجال الدعوة والجهاد الذى ضحوا بأنفسهم وأموالهم فى سبيل نصرة الاسلام رجل حمل الدعوة لمدة خمسين عاماً وتحمل هو وأولاده التضييق والسجن والعذاب من أجل الدعوة وهو رجل بأمة وكتبه الذى أقبل عليها الشباب المسلم بشغف وبترحيب وكل كتاب بمثابة علاج وحل لمشكلة من المشاكل سواء التصور السياسى أو عن النفس أو أساليب الشيطان أو قدر الدعوة أو تكوين بيت الدعوة أو غيرها من الكتب القيمة والشيخ رفاعى يمتلك بصيرة نافذة ووعى قوى وتحمل فوق الدعوة وتبعاتها ويعتبر مربى فلقد ربى أولاده وبناته تربية إسلامية صحيحة وقوية وعلمها قضايا الدين وكان بمثابة القدوة لهم فأصبحوا يتحملون الدعوة مثل والدهم فرحمه الله وأسكنه فسيح جناته ورحم الله ولده عمر رفاعى وثبت اللهم عائلته على الحق والخير والصلاح.

(مقدمة الكتاب)

تبرز قيمة الكتاب أنها تحكى عن أصحاب الاخدود هؤلاء الذين ماتوا فى سبيل انتصار العقيدة وعدم الرضوخ للطاغوت وهى كانت من المرحلة السرية الى مرحلة العلن وهو درس للمستضعفين لكى يتعلموا العقيدة وكيفية التمسك بالدين وعدم التخلى عن العقيدة مهما كان حتى لو أدى ذلك الى التعذيب أو القتل وهذا هو الطريق.

(بداية القصة)

بداية القصة دون تحديد للزمان أو المكان لأن هذه القصة يمكن أن تتكرر في كل زمان وفي أي مكان وحتى تتجرد المعاني وتصبح لدى الشخص قوية حية حتى يتم احتياجها والاستفادة منها وكان تجريد الاحداث بمثابة تسجيل لتجربة قوية لأصحاب الدعوة حتى نتعرف على خطوات الطريق الشاق الطويل كتجربة قائمة حتى نهاية الزمان وإلى اليوم الموعود وقول الرسول صلى الله عليه وسلم (كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر) ومعنى البداية هو واقع الدعوة الذي يبدأ من بداية الزمان حتى نهايتها أي أنها واقع الدعوة مستمر وكان طبيعة الدعوة هو ضرورة المواجهة بين السلطة الجاهلية الكافرة وبين واقع الدعوة وضرورة المواجهة هو الصراع بين الحق والباطل ودائما المواجهة تكون على العقيدة مرتبطة بتصور الدعوة ومنهجها الذي يعرض حقائق الرسالة وقضاياها ونستفيد أن العداوة بين الدعاة إلى الحق وبين حكام الباطل أمر بديهي مفروض من البداية بداية من التفكير في غاية الدعوة والنظر إلى واقع الناس وعندما تكون الدعوة غير متكاملة في مواجهة الباطل تصبح الدعوة قبلية والناس لا يتبعون الضعفاء ويجب أن تكون الدعوة لكل الناس حاكمين ومحكومين فالحكم في تصور الدعوة ضرورة ولا يسترد بالمساومات ولا بالهدنة بل بإقامة دولة العمل حتى تكون ولاية شرعية ويجب ألا يمنع الاستضعاف ضرورة المواجهة بين الدعوة والحكم الظالم كمثال سيدنا حمزة سيد الشهداء ورجل قام إلى إمام ظالم فأمره ونهاه فقتله.

(واقع القصة)

الواقع يدل على أن طالما يوجد حاكم ظالم لابد له من ساحر يسحر أعين الناس وذلك واقع فاسد قائم بحاكم ظالم ومحكومين بالهوى والحكم والسحر متلازمين بالنسبة للواقع الفاسد فملك رأسه ملك مبدأه السحر وسلطانه القهر وعندما يكون هذا فيصبح المنهج وهم والقيادة قهر والفكر خرافة والواقع ضياع وتكون حالتين أما إنسان لا يعجبه الانفسة ومتكبر أو إنسان مقهور لا يشعر بنفسه والسحر ضرورة للحاكم الظالم حتى يسيطر على الواقع فيفتت الانسان بكيانه ومقوماته فيكون سلاحه القهر والسحر ومن يفتن بالقهر والسحر هو إنسان لا يستمد منهجه من الله بل يستمد منهجه من البشر حتى يتم التلاعب به ويصبح في المجتمع الجاهلي أما المسلم فإنه عبد لله فقط فلا تفرقه السحر والكذب ولا يرهبه القهر والتعذيب.

(رحلة الغلام مع الراهب والساحر)

عندما يحس الساحر بقرب أجله طلب من الملك أن يعلم غلام السحر حتى يموت وهو مطمئن أنه سيقوم بدوره شخص آخر ولا يذهب عمله سدى وهذه طبيعة الدعوة أن الواقع الجاهلي الأليم الذي يعلم الشباب والفتيات كل ألوان الفساد الذي يدمر الفطرة ولا علاقة هذا بالمال بل حتى يأتي من يكمل عمل السحر بعده وهذا يجب أن ننتبه الى خطورة الاجيال التي تربت على الجاهلية والتي فتنت عن طريق وسائل الاعلام وغيرها من وسائل الافساد فعندما أتى الغلام للتعلم هنا يتألم الكاتب بسبب ضياع أجيال كثيرة من جراء هذه الجاهلية الظلماء التي ربت الشباب والفتيات على الفساد والشهوات والشبهات والموضة وغيرها والداعية الحقيقي هو من يشعر بالمسئولية تجاه الفطرة الإنسانية وحمايتها من أي تأثير جاهلي فالفطرة هي رصيد الدعوة في الواقع الجاهلي وبقدر الله سبحانه وتعالى التقى الغلام بالراهب وسمع كلامه فأعجبه ثم يذهب الى الساحر فيتعلم السحر وهذا أمر صعب ومتناقض لأن الدين والسحر لا يتفقان لأن الدين حقائق واضحة ونور منير والسحر ضلالات غامضة وكذب ملتو وكان صعباً على الغلام أن يستمر في تلقي الدين والسحر باطمئنان ولكنه ذهب الى الراهب راغباً والى الساحر كارهاً.

(درساً تربوياً للغلام)

عندما كان الغلام يذهب للساحر يقعد الى الراهب فعندما يأتي الى الساحر يضربه فشكا الى الراهب وهنا الضرب ابتلاءً وامتحاناً للغلام ولكن الله يريد أن يربي الغلام تربية حقيقية كاملاً ويريد ان يكون ارتباطه للدعوة متفقاً مع طبيعتها لأن الغلام سيكون منطلقاً إنسانياً للدعوة ودليل الناس اليها ولابد من شخصية متكاملة لا يتم هذا إلا بالابتلاء والاستعداد له والصبر عليه فطبيعة تلقي هذا الدين هي تحديد طبيعة اعتناقه والالتزام به والدعوة اليه والذين يتلقون هذا الدين على أنه بلاء هم الذين يبقون الى النهاية وضمان التمسك بالدين هو ضمان الاستمرار ولما كان الامر كذلك كان لابد للراهب أن يحل مشكلة الغلام وهكذا ينبغي على الدعاة ان يمهدوا الطريق للطلاب الجدد للدعوة وحله للمشكلة هو أن يقول للساحر حبسني أهلي وأن يقول للأهل حبسني الساحر ويجوز الكذب في ٣ مواضع منها الحرب خدعة والكذب على قدر المطلوب مقيدة لا مطلقة لأن المطلوب من الداعية هو الثقة بالله والايمان بالدعوة وأساس التحرك به دائماً مع شدة البلاء والذي تظهر الآيات التي تعين على الصبر وتطمئن النفوس وهنا أتت مرحلة المفاصلة

محمد و أميرة

في حياة الغلام من ناحية تلقي الدين أو السحر فيوضح في اختيار الدابة التي حبست الناس كان من الممكن أن يستمر الغلام في تلقي الدين والسحر دون قلق ولكن لأن الغلام متأثر تأثراً عميقاً بحقائق الدين وليس مجرد من التأثر ويصبح الدين والسحر عند الغلام مجرد فكر وكلام ولكن لأن الغلام تأثر بكلام الراهب تأثراً كبيراً ويدرك الصعوبة التي يشعر بها المسلم في مواجهة الواقع الفاسد ويجب أن يحدد كل مسلم موقفه من الجاهلية وكيفية مواجهته وكان طلب اليقين من الواقع بعد اليقين بالفطرة بدليل هذا الدعاء "اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من السحر" وهذا يدل على تأثر الغلام بحقائق الدين وأنها استقرت في ضمير الغلام وملأت عقله وقلبه وعلى كل داعية أن يطلب يقين الواقع حتى يتحرك بدعوته في واقع الناس وسيتم المواجهة بينه وبين الواقع الجاهلي مواجهة واقعية عملية ويتطلب واقع يتحقق بالقدر الذي يسير به الوجود ويعتبر الدابة بمثابة الطاغوت الذي يسيطر على واقع الناس وكأنه عقبة كبيرة في سبيل هداية الناس فيأخذ الحجر ليكون سبباً للقدر الإلهي في قتل هذه الدابة ويدعو اللهم أخذه [illegible] بالسبب فيعلم الغلام أن الحق الذي أكده قدر الله بقتل الدابة هو الحق الذي مع الراهب ورجوع الغلام الى الراهب بمثابة التصرف الصحيح عندما يواجه الداعية موقفاً في حياته وعندما كلم الراهب قال له انت أفضل من اليوم فيدل هذا على فهم الغلام للدعوة وتحقيق مصلحتها وهناك فرق بين الراهب والغلام لأن الراهب تفرغ لا يختلط بالواقع أما الغلام فالعكس لأنه يختلط بالواقع وهذا يعلمنا الاخلاص والتجرد من أجل الدعوة لا من أجل النفس أو المال وهذا يفتح الطريق للدعاة الشباب الذين يواجهون الواقع الجاهلي لأنهم يشكلون النمو العقيدي والحركي للدعوة والدعوة ليست بالعمر ولكن الايمان والكفاءة والاثر والراهب يعتبر القائد الزاهد والغلام هو المستجيب بالفطرة ويعتبر هو البناء ويوجد بينهما الوجدانية من خلال المرتبطة بين الراهب والغلام فالعمل الحركي يستلزم الوجدانية والتجرد ثم يتبعه التربية الحركية الصحيحة عندما كلف الراهب الغلام بالمسئولية تجاه العمل للدعوة لأن الداعية يجب ان يشعر بالمميزات والتكاليف وتكاليف الدعوة هو قول الراهب للغلام وإنك ستبتلى بمعنى التعرض للبلاء وهذا الراهب بمثابة القائد الذي يبصر الغلام بطبيعة الطريق وأنه طريق صعب وشاق ليس مفروش بالورود والرياحين بل مفروش بالدماء والاشلاء وهذه هي المصارحة.

الموضوع: التاريخ

(مرحلة السرية في الدعوة)

هذه هي فكرة السرية في منهج الحركة التي يتم بها تجميع الطاقات وحشد الامكانيات والسرية من الناحية العملية ضرورة تفرضها ظروف الدعوة وتتحدد بمنهجية الفكر وواقعية الاسلوب الشجاع وأما من الناحية التاريخية فقد كانت سرية في بداية الدعوة في تاريخ سيدنا نوح وسيدنا موسى عندما ولد في ظروف صعبة وقصة مؤمن الفرعون وقصة امراه فرعون لتدل على أهمية مرحلة السرية في بناء إيمان مجموعة من الشباب والفتيات في الواقع الجاهلي الصعب حتى يتربوا على الايمان قبل مواجهة الواقع.

(ارتباط الدعوة بنفع الناس وعلاجهم)

انطلاق الداعية بدعوته نحو الناس فيسير بالمعروف بين الناس مؤلفاً قلوبهم بالمنافع والخير مؤكداً إنسانية الدعاة وحبهم للبشر وهذا قدر الله ليتحقق في واقع الناس ليتم الايمان بعد ذلك من خلال شفائهم وسلامتهم من سائر الادواء وهو محقق هذا القدر وحباً للفلاح وهو سبب هذا القدر وحباً للدعوة وهي حكمه هذا القدر وهذا تحقق على عهد سيدنا عيسى وسيدنا صالح في معجزاتهم التي وهبها الله لهما فالمعجزة وهي القدر الالهي الذي تحقق على أيد الانبياء ووسيلة إقناع الناس لم تكن خارقة كونية فحسب ولكنه أيضا منفعة مادية لكي يعلم من يمارس الدعوة بعد الانبياء أن الاقناع لا يكون للاقناع الناس بغير تقديم الخير للناس ليكون الاقناع بالعقل مع تأليف القلوب بالحب لها والفرق بين المعجزة والكرامة أن المعجزة تابعة للانبياء والكرامة تابعة للاولياء الصالحين فمواجهة سحر الجاهلية بالدواء النافع للناس هو الاسلوب الصحيح للدعوة لانه من يطلب الشفاء من الله ويأخذ بالاسباب هو من ينتفع بذلك بـ الاحساس بالواقع لدى الإنسان.

وهكذا تم تحديد قضية الدعوة وأصبح لها انتشار بين الناس فأصبح لدى الدعوة تيار أقوياً امتد الى كل مجالات المجتمع وعم المعرفة الملك بذلك لان الله قدر ذلك حتى يتم تحول الدعوة من السرية الى العلنية وهذه مرحلة البداية ولا بد من حماية للدعوة من خلال السر والاخفاء رغم الوضوح والعلانية والحركة الواسعة.

(المقارنة بين السرية والعلنية)

مرحلة انتشار الدعوة وصلت الى جليس الملك الذي يعاني من العمى ليتم عرض الايمان بالله مع تقديم العلاج والنصح للجليس وبدلاً من قبول الهدايا طلب الغلام أجره من الله

لأن الغلام أخلص عمله لله لا لمال أو جاه أو منصب فنال تقديراً واعتباراً من
خلال تجرد الغلام لله فآمن جليس الملك بالله فدعا الله فشفاه وذلك لها فوائد
من خلال عرض العقيدة التي اعتنقها الغلام مع المنفعة التي قدمها للجليس فيجب
أن ترتبط عرض العقيدة مع المنفعة حتى يتم تألف القلوب لدى الناس والبدء بالعقيدة
حتى يتم بعدها عرض المنفعة للناس كما في قصة يوسف عندما عرض دعوته قبل تأويل
رؤيه صاحبيه وإيمان الجليس يدل على أن حقيقة الإيمان كامنة في النفس ولا ينقصها
إلا أسلوب الدعوة الصحيح الذي يتعامل به الدعاة مع الإنسان لتتكشف الحقيقة لديه
وعبارات الثلاثة تمثل في الحقيقة ثلاث نقاط في خط واحد وهو خط الإثبات العقدي
لقضايا الدعوة من خلال الواقع (الله الشافي) - (الله الكافي) - (الله المحيي المميت)
وانتقال من السرية إلى العلنية يدعونا إلى المقارنة بين المرحلتين من أربعة نواحي
- أسلوب الارتباط: فإننا نجد في المرحلة السرية ارتباطاً خاصاً ومثلها كان بين الراهب
والغلام ونجد في المرحلة العلنية ارتباطاً عاماً ومثلها بين الغلام والجليس
- البناء التنظيمي: فكل شخص له ممارسة الدعوة حسب الكفاءة ومثل الراهب
لم يدخل المرحلة العلنية لأنه لم يملك التأثير العلني والغلام لم يبقى في مرحلة السرية
لأنه لو فعل ذلك لأفقد الدعوة إمكانية هذا التأثير العلني بهذا وضع الراهب الحد الفاصل
بين الممارسة السرية والعلنية في كلمة لا تدل على ذلك حسب ظروف الدعوة ومقتضياتها.
- نظام التحرك: المرحلة السرية الحركة محدودة مثل مقابلة الغلام والراهب في السر أو
حركة محدودة مثل مقابلة الرسول صلى الله عليه وسلم للصحابة في دار الأرقم بن أبي الأرقم في مكة
أما المرحلة العلنية فهو تحرك عام مثل تحرك الغلام مع الناس من خلال المنفعة العامة للناس
- ناحية الإمكانيات: القدرة على التأثير العلني العام مع القدرة على المواجهة السلطة
الجاهلية التي ستحاول القضاء على هذا التأثير العلني عندما (انتقل الغلام من المرحلة العلنية
إلى نهاية القصة لأنه كان يعلم أن الملك لا يستطيع قتله كما في القصة.

(مواجهة الغلام للملك)

انكشفت الدعوة بمعرفة الملك أن جليسه قد آمن عندما سأله من رد بصرك؟ قال
ربي وهنا يظهر إيمان الجليس ويغضب الملك لأنه مدعي الربوبية وهو إدعاء طاغٍ
فقال أولك رب غيري؟ فقال ربي وربك الله وهنا الرد قاطع على إدعاءه وعدم
الخوف من ذلك لأنه سيلاقي عذاباً من الملك لأنه لم يرضخ لادعائه بالربوبية
ولا لنبدأ المواجهة إلا بالتمسك بالحق الذي خالط القلب وهكذا الثقة والقوة في الدعوة

فيعذب الطاغية وأخذ الجليس ويعذبه حتى يعترف على الغلام وهكذا الطواغيت وأعوانهم أسلوبهم التعذيب حتى يعترف على بقية الجماعة المسلمة فيأتي الغلام إلى الملك فيحاول أن يستميله بالمكر والخبث بعبارة أي بني وعبارة قد بلغ من سحرك يدل على تبديل المصطلحات حتى ينسب الفضل إليه ويبعد الناس عن الغلام ويهز مكانته عندهم فيفشل الملك في فتنة الغلام فيعذب الغلام حتى يدل على الراهب

(محنة التعذيب)

ثم تعذيب الغلام حتى دل على الراهب وهذه ليست خيانة ولا عمالة ولكنها طاقة بشرية محدودة والشعور بالألم عند الاعتراف على الآخرين مع نظرة الرحمة باعتباره بشر له طاقة محدودة وإعذار النفس بالطاقة والعون من ناحية الجماعة تجاه الفرد وحدوث هذا عند بلوغ حد الاستطاعة في التحمل والصبر والثبات وهذا قد يبلغ الفرد وتفرق الحد الفاصل بينهما بين التقصير وتحدد الصبر والتحمل بمعرفة المواجهة الصحيحة لمحنة التعذيب وإمكانياتها ودخول المحنة يستلزم الفرد المسبق على مقاومة الانهيار وتكون الحالة شبيهة للإرادية والعزم هو الذي يحقق المقاومة وهذا يشبه النوم والعزم على الموضوع فيكون موثر العزم على النوم وإحيانا تأتي المراودة بالاستسلام وهذا قرار داخلي ويجب أن يستمر بالمقاومة حتى يصل إلى مرحلة الانهيار النهائي المقاومة الدائمة هي أكبر إمكانيات المواجهة وأهم العوامل المساعدة هي متابعة ذهن الفرد لمراحل التعذيب والعزم المحدد لكل مرحلة كرؤية تعذيب الآخرين حتى يتم تحطيم العزم المسبق واستغلال الخوف ليتم السيطرة على المعذب ويمكن الوصول إلى مرحلة الانهيار الذي يهدم كل خطوط الدفاع النفسية وهناك خط قوي هو العلاقة النفسية بين الفرد الواقع تحت التعذيب والأفراد المعرضون للأذى كلما كان الحب قوياً كلما كان إرادة الصبر والتحمل قوياً وأساليب التعذيب التجاوزية مجموعها سلب الإرادة وأخطر الأساليب هو الإهانة النفسية لإفقاد الفرد كرامته لأن العلاقة بين الكرامة والإرادة علاقة طردية كلما قويت كرامة الفرد قويت إرادته والشعور بالاستعلاء والعزة من أهم موانع فقد الإرادة والفزع والترويع هما أخطر آثار التعذيب ولا يبطل إلا بالسكينة والطمأنينة بذكر الله كالاستغفار عند الدخول على السلطان والتكبير في مرحلة التعذيب وعدم المقارنة بين فتنة الناس وعذاب الله لأن عذاب الله يلزمه سخط الله والمهانة الحقيقية ولا ينفع معه الصبر وفتنة الناس والإيذاء في الله يحقق رضا الله والعزة لمن يؤذى في سبيل الله كما أن لها صبر ونجاة بإذن الله وبعد معالجة التعذيب

تأتي الحقيقة المهمة وهو التوكل على الله وهو شعور المسلم في تلك المحنة والتسليم بقدر الله هو شعور المسلم الذي يتقبله في تلك المحنة وهي في النهاية معالجة المحنة بيد الله وحده وتكون ضرورة التفكير الفعلي للمحافظة على واقع الدعوة في المرحلة السرية وعدم الارتكاز على إيمان الاتباع بالكلية

(مقتل الجليس والراهب على يد الملك)

بعد تعذيب دل على الراهب ودائما خيار الطغاة إما (الاستسلام) وإما القتل ولابد من تعرض الدعاة الى الله من عذاب وهكذا تعامل الظلمة مع دعاة الحق فلا مناقشة ولا إمتاع وسبيل بقاء الظالم في الحكم هو السحر ولا تضحية ولا مبدأ ولا وسيلة للمواجهة إلا بالتعذيب والتقتيل وحرص الملك على فتنة الراهب والجليس بمثابة قتل للدعوة وقتل لحياتهم لهذا عرض عليهم الارتداد ويئس من الاستجابة وهذا حدث أمام الغلام لعله يخاف منه أو يهز إيمانه

(محاولة الملك فتنة الغلام عن دينه)

لم يبق إلا الغلام) وحرص الملك على عدم قتله حتى لا يحرج من الناس الذين احبوه لانه فعل للناس أعمال طيبة ويحب الخير وأراد أن تحسر الدعوة هذا الداعية ويثبت للناس أن الغلام كاذب في دعواه وأراد أن يجعله ساحراً له وداعياً إلى ملكه بالسحر وحرص الملك على ارتداد الغلام ويجعل له وقت لكي يفكر قبل أن يقتله هكذا أسلوب الطغاة واختيار وسيلة صعود الجبل حتى يفكر قبل أن يقتل بدليل ان عرض على أصحابه أن يعرضوا عليه الارتداد في ذروة الجبل قبل أن يقذفوه وبداية من التدريب والقتل للراهب والجليس ثم محاولة فتنة الغلام نجد المواقف مدروسة من التعذيب ومتى اللين ومتى القتل وكيف؟ الهدف واحد هو التخلص من الدعوة بالارتداد أو القتل ولكن الغلام يدعو الله فوق الجبل اللهم اكفنيهم بما شئت وهذا هو الرضا بالله والتوكل عليه والتوكل هو الالتجاء الى الله مع استنفاذ كامل الاسباب لا ضيق بالواقع ولا يهبط بشدة الظروف وعندما يتحقق التوكل تتحقق الاستجابة بإذن الله فاهتز الجبل بهم فسقطت الجنود من على الجبل بقدرة الله وقوته وأنجى الله الغلام ثم عاد الى الملك

(نظرة هامة الى فعل الغلام)

كان من الممكن أن يهرب الغلام وينجو بحياته ولكن لان الدعوة لم تتم ولم تحصل

من واقع الناس بصورة أكبر وليست الحياة هدفاً يحرص عليه الدعاة الا من خلال كونها ضرورة من ضرورات الدعوة سواء تحقق بالحرص على الحياة او على الموت وتفسير مصلحة الدعوة بالحرص على الحياة هو تصور ناقص بسبب الجبن او الاونداد عن سبيل الله وكذلك من يندفع الى الموت دون اعتبار مصلحة الدعوة يتبدد الدعوة بالتهور والاندفاع فمصلحة الدعوة هو الحد الفاصل بين الجبن والشجاعة وبين الشجاعة والتهور فالجبن هو عدم الاستعداد للتضحية والتهور هو التضحية بلا ضرورة أو منفعة والشجاعة هو التضحية الضرورية النافعة ولهذا لم يطلب الغلام النجاة لانه جبان ولا عودة للملك تهوراً بل كان الموقفين فيهما شجاعة وحكمة والعودة الى الملك وهو على منهج الدعوة لا يغيره خوفاً منه وهو على خط المواجهة مع الملك فلا يتراجع ولا يؤجل وتنسب الجنود بالمصاحبة حتى لا يبين أنه انهزم أمامه لانه مدعى الربوبية ففشل وسيلة أخرى وهي الغرق من السفينة أحداث ناشئة بطبيعة وأخرى ناشئة عن إرادة إلهية غالبة لتمام الدعوة وبعد أن دعا الله بأن يكفيه فأغرقهم وعاد مرة أخرى الى الملك وهذا يدل على انهزام الملك على يد الغلام ولن تكون الحركة صحيحة الا إذا تحقق في ضمير كل داعية هذا الاطمئنان الذى كان عند الغلام وتكون عنده حقيقة اعتقادية بأن النفع والضر بيد الله (موت الغلام هو الحد الفاصل بين موته وحياة الناس بإيمانهم)

قال الغلام انك لن تستطيع قتلي إلا إذا فعلت ما آمرك به وهو يثبت عجز الملك أمامه وهنا انكشف زيف إدعائه بالربوبية باضطراره الى تنفيذ امره والامر هو جمع الناس في صعيد واحد حتى يشاهدوا الاحداث ويحدث الفهم والوعي ولانه يعلم ان الحكام يخفون الحقائق التي تفيد الناس وتؤدي الى الايمان ومعرفة الحق ويستمر الغلام في إصدار أوامره وتصلبني في جذع شجرة حتى يتم أكتمال ضعف الغلام في إحساس الناس فيكون غلاماً صغيراً مصلوباً في الجذع حتى يسهل على الناس انطلاق احساسهم نحو الايمان بالقوة التي قهرت الملك والتي تقف مع الغلام الصغير المصلوب قوة الله رب الغلام وأخذ السهم من كنانته حتى يتأكد رغبة القتل من جانب الغلام ووضع السهم في كبد القوس حتى يبين أن الملك يخضع خضوعاً كاملاً ونهائياً للغلام التي جعلها الله صياغة لارادته هو سبحانه ثم يقل بأسم الله رب الغلام وتتحقق قدر الله بعجز الملك وخير الملك أمام ثلاثة امور إما أن يترك الغلام بدعوته وهذا سينتهي بإيمان الناس وإما أن يستمر في محاولة قتله فيتأكد عجزه بصورة اكبر وسينتهي بإيمان الناس والثالث هو اختاره الملك بقتل الغلام وآمن الناس فقدر اراد الله ان يؤمن الناس وأن تعلو كلمته.

محمد و أميرة

(حقائق قدرية من القصة)

عندما رمى الملك القوس نحو صدغه فوضع يده على صدغه فمات تتضح حقيقة قدرية هامة وهو الربط بين السبب والنتيجة وهى الفرق بين الضرب بالسهم وموت الغلام وقد كانت الحقيقة القدرية الاخيرة وسبقها عدة حقائق فعندما أراد البشر أن يكون الغلام داعياً للضلال أراد الله أن يكون داعية للحق ومن نفس الطريق يلتقى بالراهب والجليس وكان يسمع من الراهب ويعجبه كلامه وقصة الدابة بمثابة المرحلة الفاصلة فى حياة الغلام والمصير المتحقق هو هزيمة الملك أمام الغلام وهزيمة جنود الملك فى قتله وهى متمثلة فى أن الله فعال لما يريد وهى حقيقة كل الحقائق وآخر كلمة هى باسم الله رب الغلام وهى ما فتح به ~~الغلام~~ الغلام باب الإيمان للناس والناس كانت تعرفه ساعياً لمنفعتهم ومداوياً لأدوائهم وهكذا يموت الغلام من أجل إيمان الناس وتبين هزيمة الملك بنطقه بكلمة باسم الله رب الغلام وهو من ادعى الربوبية ويعذب ويقتل من لا يدعيها له واستطاع الغلام أن ينشئ تعاطفاً كاملاً له فى نفوس هؤلاء الناس بسلوكه معهم قبل ذلك وانتهى الخوف من الملك وتعاطف الناس مع الغلام الداعية واستجاب الناس فاندفعوا من كل مكان يرددون نداءات آمنا برب الغلام آمنا برب الغلام. فى لحظة الانطلاق من قيود الوهم والجهل وفى لحظة العزة بعد القهر والذل وفى لحظة القوة بعد الوهن والضعف وتغيرت ملامح المجتمع وأنهت الجماهير ادعاء الحاكم الكاذب وتحقق هزيمته وعجزه فى النهاية (قتل أصحاب الأخدود بإشعال النيران فى الأخاديد و ~~...~~ وألقاهم بها)

حدثت الانطلاقة والاندفاعة من الناس معلنين الإيمان بالله غير مبالين بقتل ولا بحرق ومازال الملك متمسك بباطله وكرسيه مهدد وهكذا شأن الطواغيت حين يحس أن عرشه الزائف مهدد من لم يرجع عن دينه فأقحموا فيها أو قيل له اقتحم والإيمان هو من أبطل أثر حب البقاء والأولاد فى نفوس الناس حتى مشهد الامرأة عندما ترددت أنطق الله الطفل اصبرى إنك على الحق وهى قصة انتصار العقيدة وحدوث مشاهد العذاب وأخاديد النيران ترتفع بأجساد المؤمنين الأطهار ويبقى هذا المشهد درس لكل مسلم داعية بأن كلما استشهد شهيد فى سبيل تلك الدعوة كلما فاقت الناس من ظلمة الجاهلية ورحم الله الشهيد سيد قطب ~~...~~ تقبله الله ورحم الله الشيخ رفاعي سرور

تحقيق أخير

مهما تحدثت عن هذه القصة فلن أوفي حقها وقدرها فإنها درس وعبرة لكل مسلم مستضعف يعيش في الواقع الجاهلي الصعب لكي يبدأ الرحلة الشاقة الطويلة وهو يبني العقيدة الصلبة القوية والإيمان الراسخ ويرسم معالم الطريق ويعلم تجارب السابقين ممن استشهدوا في سبيل الدعوة وممن ضحوا بأنفسهم وأموالهم في سبيل الله ووالله هذا الكتاب مليئ بالفوائد والدروس الكثيرة أكثر مما كتبت وأني ادعو الشباب المسلم إلى قراءة كتب رفاعي سرور رحمه الله وكتب سيد قطب ومحمد قطب رحمهم الله لكي يدركوا المعاني الإيمانية والعقدية والحركية التي توجد في كتبهم وأسأل الله أن يرحمهم ويتقبلهم عنده والله حسيبهم ومن كان من توفيق فمن الله وما كان من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان ونسأل الله الاخلاص والصدق والقبول

والحمد لله رب العالمين